الفضاءُ السَّيبراني وتَحوُّل التَّديُّن

محمد هادي المدني[1]
محسن معارفي[2]

الخلاصة

إنَّ الفضاء السيبرانيّ والمجازيّ - باعتباره وسيلة ومنصة إلكترونية يتمّ من خلالها إنشاء المعلومات، ونقلها، وتلقّيها، وتخزينها، ومعالجتها، وحذفها - يُشكّل حياةَ الكثيرين في مجالات مختلفة تتراوح من العلاقات الاجتماعيّة إلى الاقتصاديّة والترفيهيّة والتعليم...، وتختلف وظيفتها باختلاف حاجات الناس المتغيّرة.

واليوم يتجاوز الفضاء السيبرانيّ المجازيّ ووسائل التواصل الاجتماعيّ من حيث التأثير الأطرَ الافتراضيّة ويؤثّر في العالم الماديّ والاجتماعيّ، ويُنشئ الفضاء الإلكترونيّ أشكالًا ثقافية جديدة عن طريق تغيير الثقافة ومكوّناتها في العصر الرقميّ، كما أنّ التدين يتأثر به، بوصفه عنصرًا مهمًّا في المظاهر الثقافيّة والاجتماعيّة، بهذه العمليّة.

في ضوء هذه الحقيقة من أجل تحديد نطاق وأبعاد تأثير الفضاء السيبرانيّ في التديّن (الغرض)، تتساءل هذه المقال عن دور وتأثير الفضاء السيبرانيّ في تطوّر

---

١. من تركيا الدكتوراه في علوم السياسة من جامعة الطهران. الباحث في علوم الاسلامية: Mhadimadani@yahoo.com.
٢. الدكتوراه في علم الإقتصاد و الاستاذ في جامعة العلوم و المعارف: Mohsen.nodehi@gmail.com.

التديّن (السؤال)، من خلال استخدام طريقة وصفيّة تحليليّة ونهج «هايدغر» و«بودريار» (الطريقة)، معرّفًا التحوّل في فهم الواقع والمقدس، والهوية الدينيّة، والمرجعيّة الدينيّة، ومفهوم العفة، واستهلاكية المادّة الدينيّة كمكوّنات للتديّن والتي تطورت تحت تأثير الفضاء السيبرانيّ (الفرضيّة)، وقد توصّلت إلى أنَّ طبيعة الفضاء السيبرانيّ علمانيّة بالذات (النتيجة).

المفردات الرئيسة: الفضاء السيبرانيّ، الدين، التديّن، التحوّل، المقدّس، الهوية الدينيّة، المرجعيّة الدينيّة، العفّة، الاستهلاكيّة.

المقدّمة

كان التطور والتوسّع في الفرص التكنولوجيّة وانعكاس التحوّل الذي حدث في الأفراد والمجتمعات إثر هذا التقدّم، سريعًا وفعّالًا، ومع الثورة الصناعيّة استمرّ التحوّل الذي كان قد بدأ من ذي قبل بشكل متزايد ووصل في القرن العشرين إلى أبعادٍ تتجاوز تاريخ البشرية بأكمله،[1] ولقد اتّخذ هذا التحوّل مع اكتشاف الإنترنت واستخدامه في جميع مناحي الحياة في الربع الأخير من القرن العشرين، أبعادًا جديدةً لم يكن لها نظير، وقد غيّر اليوم تمامًا العادات والحياة الفرديّة والاجتماعيّة للبشر.

أمّا الإنترنت - باعتبارها العنصر الأكثر أهمّيّة في الفضاء الإلكتروني - فهي شبكة حاسوب تمّ تطويرها لأوّل مرّة في الولايات المتّحدة في أواخر الستينيات من قبل وكالة مشروع أبحاث الدفاع المتقدّم لربط أنظمة الحاسوب بمواقع مختلفة، ثمّ استخدمتها لاحقًا المنظمات المدنيّة،[2] وهو اليوم إلى جانب أدوات وسائل الإعلام، فقد أصبح جزءًا من الحياة اليوميّة، وقد دفع هذا الموقف العديد من أكاديمي العلوم الاجتماعيّة إلى رؤية الإنترنت كوسيلة تحتاج إلى بحث متعمّق؛ ولهذا السبب تتمّ مناقشة العديد من الأحداث والظواهر الاجتماعيّة في سياق اتصالها بالإنترنت، وتَحتلُّ الإنترنت في الراهن - بالإضافة إلى كونها وسيلة إعلام - مكانةً مهمّةً للغاية من حيث التديّن والدعوة الدينية.[3]

وقد أخذت الإنترنت في التوسّع العالميّ، خاصة بعد التسعينيات؛ حيث أدّت فرص الاتصال عبر الإنترنت التي توفّرها شبكات الكمبيوتر إلى اتّصال الناس ببيئة الواقع الافتراضي، وتعدّ «الوسائط الاجتماعيّة»، وهي شبكة يتمّ فيها تداول الرسائل التي تمّ

1. Haberli, Mehmet, Sanal Din Tarihsel, Kuramsal ve Pratik Boyutlarıyla İnternet ve Din, Açılım Kitap, İstanbul, 2014, s. 237.
2. DARPA
3. Candemir, Hasan Hüseyin, "Sanal Din". Medya ve Din Araştırmaları Dergisi 2 / 1 (Haziran 2019): 159-161, s.159

إنشاؤها باستخدام أنظمة رقميّة، إحدى هذه البيئات الافتراضيّة، ففي عالمنا اليوم تخلق شبكات الاتّصال الجديدة التي تمّ إنشاؤها عن طريق تطوير التكنولوجيا واقعًا يوميًّا جديدًا من خلال تعطيل نظام الواقع ونقل شكله المُعاد إنتاجه إلى المجتمع.[1]

بالطبع لم يكن تَعرُّف البشريّة على الفضاء السيبراني المجازيّ من خلال الإنترنت في البداية، ولكن من خلال السينما؛ إذ مع اكتشاف آلة السينما في تسعينيات القرن التاسع عشر، دخل العالم الافتراضي حياة الإنسان وأصبحت السينما مركزًا مهمًّا للاستقطاب، فكان الناس آنذاك على اتّصال بالعالم الافتراضي مرّة واحدة فقط في الأسبوع، لكن بعد عصر السينما، توسع الفضاء السيبرانيّ والمجازيّ مع تأثير التلفزيون في حياة الإنسان وكان ذلك بداية عصر التلفاز، منذ ذلك الحين إلى ما نحن فيه، أصبحت الأفلام تُشاهَد والأخبار اليوميّة تُتابَع عبر التلفاز، فمع ظهور هذا الجهاز في حياة الإنسان، وهو ثاني أكبر وسيلة اتصال للمجتمعات بالعالم الافتراضي، ازداد الوقت الذي يقضيه الناس أمام الشاشة من ساعتين في الأسبوع إلى حوالي ٤ ساعات في اليوم، ثمّ بدأت المرحلة الافتراضيّة الثالثة مع عصر الإنترنت وازداد اهتمام البشريّة بالتكنولوجيا والآلات. فبالإضافة إلى مشاهدة التلفاز لمدة ٤ ساعات في المتوسط يوميًّا، بدأ الناس يقضون ما معدله ساعتين يوميًّا على الإنترنت، ولقد غيّرت الهواتف المحمولة، كمرحلة رابعة من الاتصال عبر الإنترنت، كلَّ شيء وتزايد الوقت الذي يقضيه الناس أمام الشاشة عدة أضعاف مقارنةً بالماضي.[2]

وقد شكّل الفضاء الإلكترونيّ ووسائل التواصل الاجتماعيّ التي أخذت مكانها في الحياة اليوميّة، حياة الكثيرين في مختلف المجالات من العلاقات الاجتماعيّة إلى الاقتصاد والترفيه والتعليم، ووفقًا للحاجات المتغيّرة للناس يختلف نوع استخدامهم

1. Timur, Hayriye, Sosyal Medyanın Gerçekliği: Baudrillard Perspektifinden Sosyal MedyayıDeğerlendirmek,2018, s. 75, https://www.researchgate.net/publication/326926779_Sosyal_Medyanin_Gercekligi_Baudrillard_Perspektifinden_Sosyal_Medyayi_Degerlendirmek
2. Merter, Mustafa, Nefs Psikolojisi, Kaknüs Yayınları, İstanbul, 2013, s. 506-508.

للفضاء الإلكترونيّ، ومع كلّ هذه التطوّرات لا يمكن القول إنّ الأفراد والمجتمعات والحكومات مستقلّة عن تأثيرات الفضاء ووسائل التواصل الاجتماعي في عالم اليوم؛ حيث يتجاوز الفضاء الإلكترونيّ ووسائل التواصل الاجتماعيّ من حيث التأثير الأطرَ الافتراضيّة، وأصبحت تؤثّر في العالم الماديّ والاجتماعيّ،[1] فقد أدّى التقدّم في تكنولوجيا المعلومات والاتّصالات إلى تغييرات كبيرة في فهم الزمكان. ويُظهر هذا الفضاء الجديد الذي يتزايد فيه نطاق العالم الإلكتروني، أنّ العالم المألوف والماضي قد تغيّر بالفعل، فيجب تقييم الآثار الضبابية للاختلافات الماديّة – غير الماديّة، والطبيعيّة – الخيالية، والحقيقيّة – الافتراضيّة على العقل البشري والمجتمع؛ فإنّ العالم الافتراضيّ، رغم أنّه غير ملموس، أصبح الآن مهمًّا وحاسمًا في الثقافة العالميّة السائدة.[2]

وفي هذا السياق، فإن التديّن إحدى الساحات والمجالات التي أثّر فيه الفضاء المجازيّ والالكترونيّ أثرًا كبيرًا دون أيّ ريب، ومن الحقائق المعروفة أنّ الفضاء الإلكترونيّ يخلق أشكالًا ثقافيّة جديدة من خلال تغيير الثقافة ومكوّناتها في العصر الرقميّ، وقد تمّ إهمال الطريقة التي تتفاعل بها ظاهرة الدين، والتي تعدّ مكوّنًا مهمًّا من المظاهر الثقافيّة وتلعب دورًا نشطًا في حياة العديد من الناس، مع ظهور الفضاء السيبرانيّ والمجازيّ، بشكلٍ عامٍّ في دراسات العلوم الاجتماعيّة في الماضي، ومع ذلك قد أظهر العلماء الباحثون عن التكنولوجيا الرقميّة والإنترنت على مدار الثلاثين عامًا الماضية، اهتمامًا متزايدًا بالتقاطعات والتفاعلات بين تقنيات الفضاء الإلكتروني وبين المجتمع والثقافة والدين،[3] ثمّ مع دخول المتدينين إلى الفضاء الإلكترونيّ وخلق

1. Metin, O. & Karakaya, Ş. (2017). Jean Baudrillard Perspektifinden Sosyal Medya Analizi Denemesi. Afyon Kocatepe Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi, 19 (2), 109-121. Retrieved from https://dergipark.org.tr/tr/pub/akusosbil/issue/34128/377515, s. 110.
2. Geraci, R. (2010). Apocalyptic AI, visions of heaven in robotics, artificial intelligence, and virtual reality. U.S.A: Oxford University Press. 72
3. Haberli, Mehmet, "Dijital Çağda Din ve Dindarlığın Dönüşümü". Medya ve Din Araştırmaları Dergisi 2 / 2 (Aralık 2019): 307-315, s. 309.

صلة بين الدين والفضاء السيبرانيّ، تحوّل المتديّنون إلى استخدام الفضاء الإلكترونيّ كأداة من جهة، ومن جهة أخرى تأثّرت عمليّة التدين بـالهيكل الفريد للفضاء الإلكتروني وطبيعته، ولقد تمّت مناقشات في هذا المجال - أوّلًا وقبل كلّ شيء - حول طريقة وأبعاد التأثير في فهم الواقع الديني كأمر مقدّس، والمعرفة والهوية والمرجعيّة الدينيّة؛ باعتبارها بعض المكوّنات المهمّة للتدين في الفضاء السيبراني، وأيضًا عمق تطوّر السلوك الديني في وجه الثقافة الاستهلاكيّة التي تحكم الفضاء السيبراني. ويحاول هذا المقال أيضًا الإجابة على السؤال أعلاه باستخدام آراء «مارتن هايدغر» و«جان بودريار» حول التكنولوجيا والإعلام.

٢. العلاقة والتفاعل بين الفضاء السيبراني والدين/التديّن

إنّ وسائل الاتصال - ابتداءً من أبسطها (لوحات الكهوف، والمنحوتات المصرية القديمة، ومخطوطات ورق البردي) وصولًا إلى المطابع، وتكنولوجيا الوسائط الإلكترونيّة وتقنيات الاتّصال الرقميّة والافتراضيّة الحالية - تعمل جميعها تقريبًا كوسيلة لنقل الأفكار والمعتقدات والمعرفة الدينيّة إلى مجتمعات أخرى، وفي هذا السياق يتّضح أنّه قبل ظهور وسائل الاتصال الحديثة، كانت المعلومات والنصوص المقدّسة تُنقل وتُحفظ شفهيًّا أو من خلال الكتب فحسب، والتي تُعدّ عنصرًا مهمًّا في الثقافة المكتوبة، لكنه لوحظ في العصر الرقمي أنّ جزءًا كبيرًا من الأدب الديني، الذي كان يُنقل من خلال الثقافة الشفويّة أو المكتوبة، يتمّ نقله ونشره عبر البيئة الرقميّة والافتراضيّة.

تحتوي مواقع الويب ووسائل التواصل الاجتماعي والمنتديات ومحركات التخزين السحابيّة على ملايين المستندات الدينية التي يمكن للجميع الوصول إليها، بالإضافة إلى ذلك، فإنّ تطبيقات مثل شرح النصوص المقدسة والقرآن والأحاديث النبوية

السنة الثانية - العدد الثالث؛ خريف - شتاء ٢٠٢٢ م/ ١٤٤٣ هـ

والتفسير والترجمة والتعليم وما شابه ذلك في متجر غوغل بلي ستور[1]، أبل ستور[2] وأنظمة التشغيل المماثلة جعلت من السهل جدًّا على المستخدمين الوصول إلى المعلومات الدينيّة.[3]

وقد حصل تعرف الأديان على الإنترنت بُعيد استخدامها من قبل بعض الجامعات، كما شكّلت غرف الدردشة والمنتديات والقوائم المصنفة التي توفّرها مواقع الويب للمستخدمين النواة الأولى لنقل الدين إلى الإنترنت، وكانت المواقع الدينية الأولى التي ظهرت على الويب تهدف في المقام الأول إلى تثقيف الزوار، وهذه المواقع بدورها التي تحتوي على معلومات حول مواضيع مثل الدين والتاريخ والأخلاق، مكّنت الناس في جميع أنحاء العالم من تبادل الأفكار عبر الويب، وعبر هذه الصفحات بدأ المستخدمون بالدردشة والتواصل بعضهم مع بعض بناءً على أفكارهم وآرائهم وممارساتهم الدينية.

ونظرًا لأنّ هذا التواصل لا يخضع لقيود مثل ضرورة الإثبات أو الرقابة، فهو جذاب للمستخدمين، الأمر الذي أدّى إلى توسّعه في وقت قصير، ولم تشمل هذه التواصلات والمساهمات أفكار الهواة والأفراد فحسب، بل بدأت أيضًا في فتراتٍ لاحقة، تتعامل مؤسسيًّا مع المجموعات والجهات المحدّدة من قبل شخصيّات دينيّة بارزة.[4]

ويمكن للناس اليوم التواصل بسهولة أكبر في البيئات الافتراضيّة، حيث يضعون حدودهم بعيدًا عن المخاوف الاجتماعيّة وبطريقة لا مرئية، وبالتالي يمكنهم تجربة الشعور بالوحدة التي يواجهونها في الحياة الواقعيّة.[5] وبغض النظر عن الدين أو اللغة أو العرق، يتواصل العديد من أتباع الديانات والأفكار بعضهم مع بعض عبر وسائل

1. Google Play Store
2. Apple Store
3. Haberli, Mehmet. "Dijital Çağda Din ve Dindarlığın Dönüşümü". Medya ve Din Araştırmaları Dergisi 2 / 2 (Aralık 2019): 307-315, s. 309.
4. Candemir, Hasan Hüseyin. "Sanal Din". Medya ve Din Araştırmaları Dergisi 2 / 1 (Haziran 2019): 159-161, s. 159-160.
5. Morahan-Martin, J. and Schumacher, P. (2003). Loneliness and Social Uses of the Internet. Computers in Human Behavior, 19(6): 659-671. s. 659.

التواصل الاجتماعيّ، ويوفّر الفضاء الإلكتروني ووسائل التواصل الاجتماعي فرصة للتواصل غير المحدود، ممّا يسمح للمستخدمين بمشاركة معتقداتهم، وفي هذا السياق الافتراضي تتجلّى العديد من المعتقدات، من الإلحاد إلى الربوبية[1] واللا أدرية،[2] ومن التسامح الديني إلى الحركات الدينية الراديكالية. ولا جَرَمَ أن تلتقي المعتقدات المختلفة أو حتى المتضاربة في هذا السياق، حيث يعيد الدين الرقمي إنتاج المجتمع الحقيقي، وبالتالي إعادة تصنيع الدين التقليدي.[3]

حينئذٍ، قام علماء الاتصال وعلماء الاجتماع وعلم اجتماع الدين بتصنيف وتعريف تعامل الدين والأديان مع الفضاء الإلكتروني والوسائط الرقمية من عدة جوانب، ففي عمليّة التعامل مع المحتوى الديني من منتصف التسعينيات إلى أوائل القرن الحادي والعشرين، تمّ استخدام مفهوم «الدين الافتراضي» على نطاق واسع لوصف الظاهرة المعنية (الدين السيبراني / الدين الافتراضي)، وقد تمّ استخدام هذا المفهوم للتعبير عن شكل جديد من التفاعل يمثّل مواجهة الدين لتكنولوجيا الحاسوب ونقل الحياة الدينيّة والمعنوية للناس إلى العالم الافتراضي. و

قد ظهر مفهوم «الإنترنت الديني»[4] بعد العقد الأول من عام ٢٠٠٠م، مع زيادة مستوى التفاعل في بيئة الإنترنت، والذي عبر عن استخدام الإنترنت كوسيلة للتواصل بين الدين أو الأديان، وهناك أيضًا مفهوم في شكل «الدين على الإنترنت»[5] يمثّل استخدام الدين / الأديان في الإنترنت ووسائل الإعلام الجديدة كمساحة تفاعليّة، وقد أدّت التطوّرات التكنولوجيّة المتعلّقة بالفضاء السيبراني وتنوّعه ووظيفته وتفاعل البيئات الإعلامية الجديدة مع الدين إلى خلق تعريفات وتصورات

1. Deism.
2. Agnosticism.
3. Gezginci, Gamze, Işıklı, Şevki. "Dindar Facebook Etkisi: Türk Kullanıcılar Üzerine Bir Analiz". Medya ve Din Araştırmaları Dergisi 1 / 1 (Haziran 2018): 111-133, s. 115.
4. Religion Online
5. Online Religion

جديدة للدين وفقًا لروح العصر؛ ففي هذه المرحلة يمكن ملاحظة أنّ مفهوم «الدين الافتراضي» قد استخدم على نطاق أوسع في السنوات الأخيرة للتعبير عن الممارسات الدينيّة عبر الإنترنت، كما يستخدم مفهوم الدين الافتراضي للتعبير عن ظاهرة ظهور الدين من خلال وسائل الإعلام والفضاء الإلكتروني والثقافة الرقمية، ولا يشير هذا التعريف إلى الفهم الديني الذي يتم شرحه وممارسته عبر الإنترنت فحسب، بل يشير أيضًا إلى كيفية تشكيل وسائل الإعلام والفضاء الإلكتروني للممارسات الدينية.[1]

وحيث إنّ الفضاء الإلكتروني والإنترنت يتمتعان بشبكات سريعة وخصائص تفاعلية، فهي حقيقة قد فتحت مساحة أكبر بكثير للأديان والديانات من وسائل الاتصال التقليديّة، وهكذا، اكتسبت الجماعات والمنظمات الدينيّة قوّة كبيرة في تسريب معتقداتها وطقوسها الدينية إلى الآخرين، ومع ذلك، فإنّ الفضاء الإلكتروني والإنترنت - بالإضافة إلى كونها وسيلة للدعاية - أحدثت أيضًا تغييراتٍ في الدين والتدين، فلا يمكن التنويه إلى ظهور طقوس افتراضية جديدة للأديان بآلاف السنين من التاريخ إلا كواحد من هذه التغييرات.[2]

وبعبارة أخرى بعد ارتباط المتدينين بالفضاء الإلكتروني، أُثير جدل حول ما إذا كان النشاط في هذا المجال يخدم الدين والتدين أو لا؟ في الواقع يمكن اعتبار ظهور المفاهيم المذكورة أعلاه والمعاني التي تعكسها هذه المفاهيم، انعكاسًا لهذا الجدل، وبشكل عامّ يمكن القول إنّ هناك رأيين في المسألة: الرأي الأوّل فهو يركّز على خلق مفاهيم الدين على الإنترنت والإنترنت الديني، ووفقًا لهذا الرأي، فإنّ الفضاء الإلكتروني هو فرصة وأداة يجب استخدامها لتعزيز الدين والتدين، أمّا الرأي الثاني، المتمثّل ببناء مفهوم الدين الافتراضي، فيؤكّد أنّ الدين الذي يستخدم الفضاء السيبراني

1. Haberli, Mehmet. "Dijital Çağda Din ve Dindarlığın Dönüşümü". Medya ve Din Araştırmaları Dergisi 2 / 2 (Aralık 2019): 307-315, s. 309-310.
2. Candemir, Hasan Hüseyin. "Sanal Din". Medya ve Din Araştırmaları Dergisi 2 / 1 (Haziran 2019): 159-161, s. 159.

كأداة والتدين الناتج منه، يصاب كلّ منهما بالتحوّل إثر وَطأة البنية المتأصّلة والفريدة من نوعها لهذا الفضاء، ويفقد أصالته، فبالنظر إلى الأنشطة المتعدّدة الأوجه والشاملة للمتدينين في الفضاء السيبراني وانتشار المعلومات الدينيّة بهذه الطريقة، من الواضح أنّ للفضاء الإلكتروني سلسلة من الوظائف المفيدة للأشخاص المتديّنين، ولا يمكن تجاهل نتائجها الإيجابيّة، وهذا أمر لا يمكن إنكاره، لكن هناك مسألة أخرى تجب دراستها من حيث مدى مساعدة الفضاء الإلكتروني للدين والمتدينين كيفًا، ومن حيث مدى تأثير هذا الفضاء في المتدينين الذين يستخدمون الفضاء الإلكتروني.

وبالرغم من أنّ الفضاء الإلكتروني يسمح للدين والمتدينين بالعمل في المستويات السطحيّة والظاهريّة والكمّيّة، ويظهر لهم كأداة مفيدة، إلّا أنّه في المستويات العميقة والخفيّة يفرض عليهم ماهيته المهيمنة ويحوّل التديّن كيفًا إلى اتّجاه سلبيّ، فهذا الرأي الذي يشكّل أحد الافتراضات الرئيسة لهذا المقال، سيتمّ شرحه بشكلٍ أكثر وضوحًا في تحليل «مارتن هايدغر» و«جان بودريار» للتكنولوجيا والإعلام.

٣. الإطار المفهومي

ليس لمصطلح «الفضاء السيبراني» حتى الآن تعريف موحّد عالميًّا، على الرغم من أنّه يرتبط أحيانًا بمفهوم الإنترنت أو رؤية العالم الافتراضي الرقمي. وثمّة تعريفات قد اقترحتها منظمات مهمّة مثل وكالة المخابرات المركزية (CIA) ووكالة الأمن القومي (NSA) وقمة الأمن السيبراني الروسية الأمريكيّة وما إلى ذلك، ووفقًا لقائمة مصطلحات وزارة الدفاع الأمريكيّة والمصطلحات العسكريّة، يعدّ الفضاء الإلكتروني «مساحة عالميّة في بيئة المعلومات يتضمّن شبكة مترابطة من البُنى التحتية لتكنولوجيا المعلومات، بما في ذلك الإنترنت وشبكات الاتصالات والأنظمة الحاسوبية والمعالجة والمتحكمة».

بالإضافة إلى ذلك، فقد وصفت قمة الأمن السيبراني الروسية الأمريكية، الفضاء السيبرانيّ والمجازيّ بأنّه «واسطة إلكترونيّة يتمّ من خلالها إنشاء المعلومات ونقلها وتلقّيها وتخزينها ومعالجتها وحذفها»، وهكذا، يُظهر كلا التعريفين أنّ الفضاء السيبراني هو مزيج من تقنيات الإنترنت وأجهزة الاتصالات التي تُمكّن من تسجيل المعلومات وتخزينها واسترجاعها ونقلها،[1] وبهذا المعنى، يعتمد الفضاء السيبراني على البرامج أو الأبعاد الفكرية والثقافية، وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ الفضاء الافتراضي هو مفهوم يكون فيه العنصر الثقافي أكثر أهمّيّة من جوانبه الأخرى.[2]

ولمّا كانت التكنولوجيا والمعلومات هي محور البحث، فإنّ فهم حقيقة هذين المفهومين يغدو ضروريًّا، وفي هذا السياق، فإنّ كيفية تأثير هذين المفهومين في الثقافة والدين، كعنصرين من عناصرهما، وكيفية تطور علاقة الإنسان مع الواقع، هي قضيّة مهمّة تحتاج إلى معالجة، وبطبيعة الحال، عند دراسة ماهية التكنولوجيا وتقنيات المعلومات الجديدة، يتبادر إلى الذهن اثنان من المفكرين المعاصرين، «مارتن هايدغر» و«جان بودريار»؛ فإنّ التحليل الفلسفي لمارتن هايدغر للفكرة التي تنتج التكنولوجيا، والنهج الاختزالي وغير الأصيل لهذا النوع من التفكير في الوجود، وأفكار بودريار حول كيفيّة حجب تقنيات المعلومات الجديدة للواقع، وإنتاج صور تبدو وكأنّها هي الواقع، ضمن مفهوم المحاكاة، وعرض بعض الإمكانيات والفرص، كلّ ذلك محاولة لشرح كيفية تأثير الفضاء الإلكترونيّ في الدين والتديّن.

يحلل «هايدغر» طبيعة التكنولوجيا من خلال المقارنة بين رؤية وعقائد الإنسان القديم والإنسان الحديث، ففي رأيه كانت الإجراءات الأساسيّة للإنسان في العصور

1. Mbanaso, Uche M., and Eman S. Dandaura. 2015. "The Cyberspace: Redefining a New World." IOSR Journal of Computer Engineering 17 (3): 17–24. p. 18.

٢. بروجردي علوي مهدخت، صديق يزدجي أميرسعيد. تاثير فضای مجازی بر هويت ملی و قومی در ايران. دراسات وسائل الإعلام الحديثة. ٣ (١٢)، ٨٧-١١٠، ١٣٩٦، ص. ٩٨.

القديمة هي التجارب التي كان يستجيب لها مباشرة لكلّ ما هو موجود، ومن الواضح أنّ البشر قد تلقّوا كل ما كان يحدث تلقائيًا، وهذا يختلف تمامًا عن الرؤية التي تضع الموضوع في المركز؛ إذ إنّ الإنسان اليوم، من خلال اعتبار النفس كموضوعٍ، يدرس الطبيعة عبر العلم الحديث، لكن هذه البحوث يتمّ من خلال وضع الطبيعة أمامه، وفي الواقع، فإنّ طبيعة العالم العصري هي عبارة عن خلق الموضوع، وعدم السماح للأشياء بالوجود كما هي، فقد أصبح العلم في هذه المرحلة تخصصًا يجعل الإنسان ينفر من الطبيعة، وباختصار يعارض هايدغر الجبرية التكنولوجية، ويوضح أنّ التقنية قد لا تكون محايدة؛ لأنّ هناك عمليات اقتصادية وأيديولوجيّة ورائها، والإنسان العصري محاصر بالتفكير العقلانيّ والعلميّ ويفهم الواقع دائمًا من خلال المفاهيم المفروضة عليه.[١]

وفقًا لهايدغر، فإنّ التكنولوجيا الحديثة هي اسم عملية يفسَّر فيها الإنسان، من خلال اختزالها لبعض القوانين الفيزيائية والمعادلات الرياضية وتصنيفها حسب معايير مختلفة، كلَّ تجاربه حول وجوده، وبالتالي يحلم في مخيلته بالتحكم في العالم، وهذا يعني: أنّ طبيعة التكنولوجيا لا تتكون من آلات أو أنظمة أو أشخاص يستخدمونها، ولكن الحالة الذهنية التي تصنف الوجود بطريقة معينة وتختزله إلى معادلات رياضيّة هي الجوهر الحقيقي للتكنولوجيا،[٢] وبالطبع حسب هذه الرؤية، فإنّ الميل للتحكم في الطبيعة هو بداية هيمنة الإنسان.[٣]

ويذكرنا بودريار أيضًا بمساوئ تقليل أجهزة الاتصال إلى أداة تقنية بسيطة، وفي رأيه أنّ عدم فهم أهمّيّة هذه الأداة قد أدّى فعلًا إلى إهمال أهمّيّة ثورة الاتصالات، إنّ

1. Heidegger, Martin, "The Question Concerning Technology". The Question Concerning Technology and Other Essays. Translator. William Lovitt. New York: Harper & Row Publishers, 1977.

٢. المصدر نفسه، ص ٢٦.

3. Harvey, David: Postmodernliğin Durumu, Çev. Sungur Savran, İstanbul, Metis Yayınları, 1. Basım: 1997, s. 26-27.

الفهم الافتراضي كمسألة تقنيّة بحتة يجعله يفقد أهمّيّته،[1] فكانت المجتمعات الحديثة أيضًا في البداية تنظر إلى التكنولوجيا على أنّها تنمية اقتصاديّة جماعيّة وأداة مفيدة؛ لذلك قد عرّفوا التكنولوجيا على أنّها شيء يلعب دورًا في تنمية العلاقات البشرية والقيم الإنسانيّة، لكن وبمرور الوقت، فقدت التكنولوجيا هذه الميزات أو ابتعدت عنها وأصبحت ظاهرة تخدم النظام الاستهلاكي بشكل كامل، كما بدأت هي منذ فترة معيّنة بتدمير علاقات الناس بعضهم مع بعض ناهيك عن علاقات الناس مع الواقع، ودور التكنولوجيا هذا في فصل الناس عن الواقع، ما يسميه بودريار «الاغتراب المعاصر».[2]

ووفقًا لبودريار، فإنّ التكنولوجيا منذ فترة تدمّر علاقات الناس بعضهم مع بعض وعلاقاتهم بالواقع، ونتيجة لهذا الوضع الذي يسميه الاغتراب المعاصر، أصبح الناس فعلًا منفصلين عن الواقع،[3] وبات التكنولوجيا عامل مهم في هيمنة الرموز والمحاكاة من خلال القضاء على الواقع، فإنّ الصور الحقيقيّة قد اختفت بشكل منهجي بواسطة التكنولوجيا، وقد اكتمل اختفاء الصور بالانتقال من التقنيات التناظرية إلى التقنيات الرقميّة.[4] وإنّ هيمنة التكنولوجيا على المجتمع هي سبب حصول تغييرات جذرية، فمن جهة، يشعر الناس بحاجة لاستخدام مجموعة متنوعة من الأدوات التكنولوجي، ومن جهة أخرى تخلق التكنولوجيا إحساسًا ساحرًا بالتفاؤل لدى الناس، وبالتالي تتطلّب استخدام مجموعة متنوعة من الأدوات التكنولوجية، كما يذعن بودريار لسيادة هذا النظام في العالم الافتراضي الذي تمّ إنشاؤه بواسطة العمليات التكنولوجية كشكل من أشكال العبودية،[5] فعالم اليوم هو مكان يتمّ فيه تحديد هويّة الأفراد وحريتهم بالكامل

1. Baudrillard, Jean: Şeytana Satılan Ruh, Çev. Oğuz Adanır, Doğubatı Yayınları, Ankara, 2005.
2. Baudrillard, Jean, Tüketim Toplumu, Ayrıntı Yayınları, İstanbul, 2016, s. 244.
3. Metin, O. & Karakaya, Ş. (2017). Jean Baudrillard Perspektifinden Sosyal Medya Analizi Denemesi. Afyon Kocatepe Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi, 19 (2), 109-121. Retrieved from https://dergipark.org.tr/tr/pub/akusosbil/issue/34128/377515, s.120.
4. Baudrillard, Jean, Neden Her Şey Hala Yok Olup Gitmedi?, Boğaziçi Üniversitesi Yayınevi, İstanbul, 2012, s. 18.
5. Baudrillard, Jean, Tam Ekran. çev. Bahadır Gülmez, Yapı Kredi Yayınları, İstanbul, 2001, s. 54.

من خلال نظام افتراضي، وكلّ هذه العناصر تحكمها شبكات تشبه الشتات العقلي (Mental diaspora).[1]

ولتفسير هذا النظام الافتراضي يؤكد بودريار على سلسلة من المفاهيم الأساسية مثل «المحاكاة»[2] و«السريالية»[3] و«الانفجار الداخلي»[4] و «الحدث الساخن البارد».[5] فالمحاكاة هي إعادة إنتاج الواقع من خلال النماذج، وفيها تبدو الحقائق أكثر واقعية مما هي عليه في الواقع، فتحاول المحاكاة إظهار شيء غير واقعي وتقديمه على أنّه واقعي.[6] أمّا السريالية فهي طمس الحد الغامض بين الواقع والخيال.[7] وأمّا الانفجار الداخلي فهو أمر يستهلك معرفة المحتوى، والتواصل، وشؤون المجتمع الذي ينتجها، ويدمّر المعنى، ويضع الأمر الاجتماعي بالكامل طيّ غياب المعلومات،[8] وأمّا الحدث الساخن البارد فهو يشير أيضًا إلى وسائل الاتصال الجماهيري، وأنّ وسائل الاتصال الجماهيري تُحوّل الأحداث الإعلاميّة الساخنة إلى أحداث باردة، حيث تصبح هذه الأحداث شائعة و مجرد وسيلة للترفيه.[9]

ويعتقد «بودريار» أنّ الواقع آخذٌ بالزوال، ولا يعتبر هذا الدمار دمارًا وجوديًّا للواقع؛ إذ إنّ «العلامات» – أي الأشياء – قد حلّت محلّ الواقع، وهناك عوامل أخرى تمنعنا من اكتساب المعرفة بالأشياء، وبينما تُعتبر الأطراف المتدخلة لدى فوكو «قوة»، فإنّها عند بودريار عبارة عن «قوى الإنتاج»،[10] ووفقًا لبودريار، فإنّ الانتقال إلى هذه

1. Baudrillard, Jean, Şeytana Satılan Ruh, Çev. Oğuz Adanır, Doğubatı Yayınları, Ankara, 2005, s. 55.
2. Simulation.
3. Surrealism.
4. Implosion.
5. Baudrillard, Jean, Sessiz Yığınların Gölgesinde, Doğu Batı Yayınları, Ankara, 2015, s. 69.
6. Baudrillard, Jean, Simülakrlar ve Simülasyon, Doğu Batı Yayınları, Ankara, 2014, s. 3.
7. Yumrukuz, Ö, 2016. Jean Baudrillard'ın Simülasyon Kuramı Çerçevesinde Survivor Programı. TRT Akademi Dergisi, 1(1), 86-111, s. 88.

٨. المصدر نفسه، ص ٨٩.

٩. المصدر نفسه، ص ٨٨ و ٨٩.

10. Güzel, M. 2015. Gerçeklik İlkesinin Yitimi: Baudrillard'ın Simülasyon Teorisinin Temel Kavramları. Felsefe ve Sosyal Bilimler Dergisi, 19, 65-84, s. 68.

الحالة السريالية لمجتمع ما بعد الحداثة له مراحل معينة. تحدث العلامات في الثقافة البشريّة خلال أربع مراحل:

المرحلة الأولى: هي المرحلة التي تتطور فيها العلامات، أي الكلمات والصور، لتكون انعكاسًا للواقع.

المرحلة الثانية: تبدأ العلامات في تجميل الحقيقة وتضخيمها وحتّى تشويهها، ولكن نظرًا لعدم وجود انفصال مطلق عن الواقع، تستمرّ العلامات كرموزٍ تعكس الواقع، ولكن بعد اجتياز المرحلتين الثالثة والرابعة، تحلّ العلامات والمحاكاة محلّ الواقع بالفعل، وفي نهاية الأمر يظهر مجتمعٌ رمزيّ، وهذا المجتمع هو مجتمع محاكاة أو تقليد لا علاقة له بالرموز وبالعلامات وبأشياء حقيقيّة، وحتّى العلاقات الإنسانيّة ليست سوى علاقات رمزيّة، فلم يعد بإمكاننا الحديث عن حقيقة أو واقع معرفي في هذا المجتمع.[١]

تلعب وسائل التواصل الاجتماعي دورًا رئيسًا في هذه العمليّة، ويتمّ عرض الناس على وسائل التواصل الاجتماعي بالرموز كما يتمّ تقديمهم بشكلٍ مثالي، حيث لا تشوبهم شائبة، فيتمّ التعبير عن حالة الكمال هذه في فكر «بودريار» كواقع خارق خالٍ من العيب، وبالنسبة لبودريار، الواقع المحض غير كامل، لكن الواقعيات الفائقة كاملة[٢]، ووفقًا له، في المجتمعات الغربية، حيث تحلّ المحاكاة محل الواقع، يختفي المجتمع بمعناه الخاصّ ويتبخر، وتحلّ محله «كتل الجمهور الصامتة»، في هذه الحال لا يمكن بناء سوسيولوجيا الجماهير، باعتبارها «ثقبا أسود يختفي فيه المجتمع»؛ لأنّ كتلة الجمهور تقع في مواجهة الأمر الاجتماعي، فلا يمكن اعتبارها مفهومًا.[٣]

---

١. المصدر نفسه، ص ٦٩.

2. Metin, O. & Karakaya, Ş. (2017). Jean Baudrillard Perspektifinden Sosyal Medya Analizi Denemesi. Afyon Kocatepe Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi, 19 (2), 109-121. Retrieved from https://dergipark.org.tr/tr/pub/akusosbil/issue/34128/377515, s. 117.

3. Baudrillard, Jean, Sessiz Yığınların Gölgesinde, Doğu Batı Yayınları, Ankara, 2015, s. 12-13.

إنّ علاقات الجماهير بعوامل القوة تشمل تَلاعُبَ هذه العوامل بكتل الجماهير، والكتل فاقدة للإحساس، وقد منحها وكلاء السلطة هذه اللامبالاة، والكتل لم تعد اجتماعيّة؛ إذ إنّ التمتع بالطابع الاجتماعي هو أمرٌ أصبح الآن غير معروف للجماهير. ونزع الطابع الاجتماعي عن الكتل لا يعني أنّها لم تعد تحت السيطرة، بل وإن الجماهير – حتى لو كانت كتل صامتة – يتمّ استطلاع رأيها باستخدام وسائل الإعلام والاستفتاء العامّ؛ باعتبارهما نظامين للمحاكاة في إعلام عملاء السلطة بما تعتقده الجماهير،[١] وفي هذه الحال تكون مهمّة أدوات الاتصال والمعلومات هي إنتاج الواقع،[٢] ووفقًا لنظرية «بودريار» حول المجتمع الاستهلاكي، الواقع المقصود هذا يُبنى حسب مصالح القوى المنتجة، كما أنّ المواد الاستهلاكية تكاد تصبغ بالصبغة الإلهية فتصبح مقدسة في مراكز التسوق، كذلك فإنّ عناصر وسائل الاتصال الاجتماعي هي إلهية ومقدسة بطبيعتها، وتدفع مجموعات التسويق على وسائل الاتصال الاجتماعي وإعلانات الشركات الناسَ باستمرار لشراء شيء ما، فهذا النظام الافتراضي الذي يتمّ فيه حتّى إنشاء العملات إلكترونيا هو عالم من المحاكاة.[٣]

٤. تَحوّل مُكوِّنات التديُّن في الفضاء السيبراني والمجازي

أ. الفضاء السيبراني المجازي وضِياع الحقيقة كأمر مقدَّس

لا يتمّ في تعاليم الأديان والفلسفات الكلاسيكية، شرح علاقة الإنسان بالواقع بأسلوب معرفي عقلاني فحسب؛ إذ وفقًا للتعاليم الدينية والفلسفة الكلاسيكية ترتبط فكرة التعالي بالوجود المتعالي؛ فإنّ ارتباط الإنسان بالحقيقة لا يتحقّق فقط من خلال

١. المصدر نفسه، ص ١٩ – ٢٦.

٢. المصدر نفسه، ص ٦٥.

3. Metin, O. & Karakaya, Ş. (2017). Jean Baudrillard Perspektifinden Sosyal Medya Analizi Denemesi. Afyon Kocatepe Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi, 19 (2) , 109-121 . Retrieved from https://dergipark.org.tr/tr/pub/akusosbil/issue/34128/377515, s. 119.

الاستدلال الخطابي والمنطقي (من المقدمات وصولًا إلى النتيجة)، ونظرًا إلى أنّ هذا يمكن الحدوث مع نوع من التفكير كالشهود، فإنّه يتطلّب أيضًا التحوّل أو الكمال الروحي والمعنوي للإنسان.[1] وقد شهد العقل الذي يُعتبر في العصر الحديث كأداة للإدراك والفهم، تحوّلًا جذريًّا، وقد أفسح العقلُ الحدسي الكلي[2] المجالَ إلى العقل الجزئي[3] الحسابي، وإنَّ العقل الكلي الذي يتضمن الشهود أيضًا، يتجاوز حدود العقل الجزئي، وهو القدرة على التفكير الذي يمكن الإنسان من فتح وجوده على الواقع؛ أمّا العقل الجزئي فهو يحول الواقع إلى كائن مجهول، عبر أسلوب التفكير الحسابي لموضوع معرفي، ويجعلها موضوعًا حسابيًّا، كما يتوافق العقل الجزئي مع القدرة على التفكير، التي يجعل من الممكن تحقيق الواقع ككائن معروف وقابل للاستهلاك ضمن نطاقه العقليّ، والنتيجة الواضحة لهذا الموقف هي أنّ الإنسان محاصَر في عالمه المعرفي بفقدان المنهج القديم في التمييز بين الظاهر والواقع أو الحقيقة، وعلى ضوء هذا التحول في علاقته بالعقل، فإذا تقلصت الروح بتحولها إلى المعرفة والعقل إلى الذكاء، تتمّ ترجمة الوجود والواقع والقيمة والمعنى إلى لغة قائمة على الكمّيّة من خلال المنطق الحسابي للتفكير، ونتيجة استعراض هذه الكمية في مرآة العقل، تحوّلها إلى موضوع معرفي[4] (للتنظير) وميتافيزيقيا ذاتية[5] في أشكال مختلفة.[6]

وإن تَماهي الوجود[7] مع الواقع الذي يتمّ إنشاؤه في مواجهة الإمكانيات المعرفيّة للإنسان، لا يعزّز فقط المكانة الوجودية المتميزة والطاردة للإنسان، بل يؤدّي أيضًا إلى

1. Küçükalp, Kasım, "Enformasyon Kültürü ve Simülasyon Dünyası İçerisinde Hakikat ve İnsan İlişkisi", Dijitalleşme, Değerler ve Din Sempozyumu Kitabı, Dicle Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yayınları No: 51, 2021, s. 37.
2. Intellekt
3. Ratio, reason
4. cognitive object
5. *Metaphysical subjectivism*
6. Küçükalp, Kasım, "Enformasyon Kültürü ve Simülasyon Dünyası İçerisinde Hakikat ve İnsan İlişkisi", Dijitalleşme, Değerler ve Din Sempozyumu Kitabı, Dicle Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yayınları No: 51, 2021, s. 39.
7. *Identification with*

التضييق لأفق الوجود بوضوح، وفي الوقت نفسه يؤدّي تناقص وتراجع الروح إلى المعرفة أو الذكاء، إلى رفع الميتافيزيقيا الإنسانيّة[1] التي تم إنشاؤها من خلال الفكر العلمي والفلسفي الحديث إلى حقيقة مطلقة من ناحية، ومن ناحية أخرى، مع ظهور التكنولوجيا، يتمّ تأليه الذكاء وظهور عالم من المحاكاة كما حصل فعلًا.[2]

فمن خلال الفلسفة والعلوم والتكنولوجيا الحديثة، قد أصبح العالم شيئًا يمكن الهيمنة عليه من خلال التفكير الحسابي، كما أصبحت الطبيعة موردًا عملاقًا ملزمًا بتوفير الطاقة اللازمة للتكنولوجيا والصناعة الحديثة للإنسان الحديث الذي قد نسي التفكير تمامًا،[3] فيجب تحقيق سيطرة الإنسان على المصدر المنشود من خلال تفصيل الواقع الذي تمّ تكثيفه ضمن العالم المعرفي للإنسان، ذلك من خلال تقسيمه إلى أجزاء متناثرة[4] عبر عمليّة التفكير الحسابي، وقد أدّى فقدان فكرة التكامل بسبب هذا التشتت، إلى انتشار المعرفة في مختلف المجالات التخصّصية واستمرار إنتاجها حسب المجالات المختلفة للموضوع قيد البحث، ونتيجة لذلك تحولت المعرفة إلى معلومات.[5]

حينئذٍ ينسى بالفعل الإنسان المعاصر، المتعرَّض لجبر الصورة المرئية في الفضاء السيبراني، فكرةَ الواقع والمعنى،[6] كما أنّ المحاكاة التي قد حلّت محلّ الحقيقة تؤدّي وظيفةً تخفي نسيان الواقع.[7] وببيان آخر يتمّ تصوير العالم بمثابة «عالمنا وطننا» على وسائل التواصل الاجتماعي والفضاء الإلكتروني على غرار رسوم إيضاحية، وقد أدّى

1. Humanistic *Metaphysics*
2. Küçükalp, Kasım, "Enformasyon Kültürü ve Simülasyon Dünyası İçerisinde Hakikat ve İnsan İlişkisi", Dijitalleşme, Değerler ve Din Sempozyumu Kitabı, Dicle Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yayınları No: 51, 2021, s. 41.
3. Martin Heidegger, Discourse on Thinking, çev. J. M. Anderson, Harper Row Publishing, New York, s. 50.
4. Atomized
5. Küçükalp, Kasım, "Enformasyon Kültürü ve Simülasyon Dünyası İçerisinde Hakikat ve İnsan İlişkisi", Dijitalleşme, Değerler ve Din Sempozyumu Kitabı, Dicle Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yayınları No: 51, 2021, s. 42.

٦. المصدر نفسه، ص ٤٥.

7. Baudrillard, Jean, Sessiz Yığınların Gölgesinde, Doğu Batı Yayınları, Ankara, 2015, s. 12.

ذلك إلى إنشاء العديد من الصور التي لا يوجد فيها شيء يمكن رؤيته.[1] وبالتالي ضاقت الفجوة بين الدالّ والمدلول في الفضاء السيبراني ووسائط الإعلام، مما جعل من الصعب تطوير رؤية متعالية أو واقعيّة للأشياء؛ لأنّ الإنتاج المفرط للعلامات في الفضاء الإلكتروني يقودها في نهاية المطاف لفقدان مَراجعها بمعنى المدلول.[2]

ب. الفضاء السيبراني، وظهور التديّن التقني

لقد أدّت الهيمنة المتزايدة للفضاء المجازيّ إلى خلق نوعٍ فريدٍ من الدين والتديّن، ما يسمّى (الديانة التقنيّة) أو (التديّن التقني).

تتصوّر الديانة التقنية عالمًا لا يدور حول رغبة أو تجربة بشريّة، لكن الدين الأكثر إثارة للاهتمام الذي ينمو حاليًّا هو ما لا يحترم الآلهة ولا الإنسان، هذا الدين الذي لا يعبد إلّا البيانات، هو [دين مرتبط بالبيانات ارتباطًا عضويًّا أو نسمّيه] بالدين «البياناتي»،[3] ويدعي البياناتي أنّ العالم متكوّن من تدفق البيانات، وأن قيمة كلّ واقع تُحدَّد من خلال مشاركتها في عملية معالجة البيانات. ورغم أن هذا الخطاب قد يبدو طموحًا للغاية وحتّى جنونيًّا في الوهلة الأولى، إلّا أنّه أثّر في المجتمع العلمي تأثيرًا بليغًا.[4]

يقول حراري: «طالما أصبح نظام المعلومات العالمي عليمًا وقادرًا مطلقًا، فإنّ الاتّصال بالنظام هو المصدر الوحيد للمعنى، يريد الناس التفاعل مع تدفق البيانات؛ لأنّهم عندما يكونون جزءًا منه يشعرون أنّهم جزء من شيءٍ أعظم بكثير، وقد قالت الأديان التقليدية: إنّ كلّ عمل يقوم به الأفراد هو جزء من خطة كونيّة أكبر؛ حيث يراقبنا الله جميعًا في كلّ آنٍ، ويشرف على تفاصيل مشاعرنا وأفكارنا كلّ على

1. Baudrillard, Jean, Kötülüğün Şeffaflığı, çev. Işık Ergüden. Ayrıntı Yayınları, İstanbul, 1998, s. 22-23.
2. David Ashley, History Without a Subject ‘The Postmodern Condition’, (United States of America, Colorado: Westview Press, 1997), 5.
3. Harari, Y. N. Homo Deus: Yarının Kısa Bir Tarihi, Kolektif Kitap, İstanbul, 2017, s. 381.
٤. المصدر نفسه، ص ٣٨٣.

حدة، والآن فإن دين البيانات قد فرض أن يكون كلّ قول وفعل جزءًا من تدفق البيانات الهائل، وتراقبنا الخوارزميات باستمرار، وتتعامل مع كلّ مشاعرنا وأفكارنا جملة وتفصيلًا؛ فمعظم الناس راضون عن هذا الوضع؛ وأمّا الانفصال عن تدفّق البيانات فهو يعني خطر فقدان معنى الحياة بالنسبة للمؤمنين بهذا الدين».[١]

ومن ناحية أخرى تشير البيانات إلى حقائق منفصلة وموضوعية حول الأحداث، وتعتبر بمثابة مواد خام للتحليل، وأنّ المعلومات هي الشكل المعالَج للبيانات بطريقة ذات معني، والتي تتكّون من مجموع البيانات، وهي مقدَّمة على العلم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ المعرفة هي التصفية العقلانيّة للبيانات والمعلومات التي تستخدم عند اللزوم، في عمليات صنع القرار، والتخطيط، والمقارنة، والتقييم، والتحليل، والإنتاج، من خلال الخبرات الشخصية والإدراكات والمشاهدات والأحاسيس والقيم، وباختصار المعرفة لها طابع فرديّ وداخليّ، وتجب معالجة المعلومات ومراجعتها لكلّ حالة بشريّة؛ إذ ما لم يتمّ فحص دقّة المعرفة وإمكانيّة تطبيقها من منظور نقدي، تنخفض المعرفة إلى مستوى المعلومات.[٢]

لكن يرتفع مستوى المعرفة التي تُثريها خبرات المرء، بارتفاع مستوى الاستيعاب الباطني، والاندماج مع العلوم الأخرى، وقابلية المشاهدة والانتقاد إذا كانت هناك تناقضات وأوجه قصور، كما أنّ لمفاهيم «التأمل والتفكير والاستدلال» أيضًا وظائف توفّر الوصول إلى هذا المستوى من المعرفة، ويمكن الوصول إلى الحقيقة من خلال المعرفة إن تمّ استيعابها باطنيًّا وتطبيقها في الحياة، وستبقى المعرفة التي ليس لها تأثير تحويلي على نمط الحياة بمثابة كتلة من المعلومات.[٣]

---

١. المصدر نفسه، ص ٤٠٣.

2. Ekinci, Fatma, Sanallaş(tırıl)ma Sürecinde Dinî Bilginin Hakikat Problemi, Medya ve Din Tartışmaları Sempozyum Bildirileri, İstanbul Ticaret Üniversitesi, İstanbul, 2016, s. 291-292.

٣. المصدر نفسه، ص ٢٩٢ – ٢٩٣.

ونظرًا لفقدان العنصر البشري (العالِم العارِف) الذي لعب دورًا رئيسًا في نقل المعرفة في الحضارات القديمة، ولا سيّما في الحضارة الإسلاميّة، يُصبح مصدر المعلومات مجهولًا، والمعرفة الدينيّة التي تنتقل إلى البيئة الافتراضيّة تتحول إلى المعلومات، في حين أنّ العلاقة بين العلم والإيمان في الإسلام تتطلب استيعاب العلم باطنيًّا والعمل بما هو معلوم، فإنّ الفهم الديني والحياة اليوم يتشكّلان على أساس معلومات مشتّتة وناقصة، والعلاقة بين العلم الديني والحقيقة تبقى ضعيفة في عملية الافتراضيّة.[١]

لذلك يمكن القول إنّ المعلومات التي يتمّ تداولها في الفضاء الافتراضي والتي يشار إليها باسم المعرفة الدينيّة، ليست لها قيمة معرفيّة؛ إذ تفقد جدّيتها في ساحة غير آمنة وغير متحكّم فيها أوجدتها طبيعة العالم الافتراضي، فيصبح هذا النوع من المعلومات سلعة تُباع وتُشترى، وصورة وهميّة يُتلاعب بها؛ لأنَّ العالَم، الذي يُطلق عليه الواقع الافتراضي وهو من نتاج تكنولوجيا الإنترنت، هو عالم مجازي يخلق بيئة تحاكي الواقع، وهذا العالم يخلق «الجغرافيا الإلكترونيّة» كمكان بعيد وغير ملموس وخيالي، ويتلاعب بالمستخدم عن طريق سحبه إليه، وإنَّ تصنيف المواقع بناءً على شعبيّتها في محركات البحث وتوفير بدائل مخصَّصة حسب عادات متصفح الإنترنت، أمثلة لاستخدام الفضاء الإلكتروني كأداة للتلاعب والتحكم.[٢]

ج. الفضاء السيبرانيّ المجازيّ، واستهلاكية التدين

إنّ العرض الرقميّ في الفضاء السيبرانيّ حقيقةً رمزٌ عدديٌّ يتكوّن من أرقام ثنائية، أي: «٠» و«١»، وهذا ما يكشف عن جوهر الرقمنة والفضاء الإلكتروني، والعرض الرقمي هو تعبير رياضي قابل للمحاسبة والبرمجة. و«القابلية للبرمجة» هي الميزة الأساس

١. المصدر نفسه، ص ٢٩٧.

٢. المصدر نفسه، ص ٢٩٤.

للعرض الرقمي؛ إذ يمكن محاسبة جميع الكائنات والظواهر الرقمية بتحويلها إلى عبارات رياضية، وإنّ القابليّة للمحاسبة وقابليّة للقياس تدلّ أيضًا على العينية.[1]

واليوم أنّ الإجراءات والاهتمامات والأفراح والأحزان والآمال وخيبات الأمل وتوقعات الناس، وباختصار جميع تجارب الناس في الحياة، تتمّ ترجمتها عبر الفيسبوك والغوغل وجميع المنصات والتطبيقات الرائدة في العالم الافتراضي والرقمي، إلى أكواد مزدوجة (Binary) أو أرقام ثنائية مؤلّفة من الأرقام «٠» و «١»، ثمّ يتمّ تصنيف هذه الرموز، وتخضع لعمليات حسابيّة مختلفة، وتُفسر عن طريق البرمجة الحسابيّة، فلا تحوّل الرقمنة الأشياءَ فحسب، بل تحوّل أيضًا مجموعة متنوعة من الخبرات البشرية إلى رموز حسابية، وتمهّد الرقمنة الطريق لتحويل السلوك البشري إلى بيانات قابلة للمحاسبة، فمن خلال هذه المحاسبات والبرمجيّات، يُتاح إنشاء «هياكل سلوكية يمكن التنبؤ بها» وعرض هذه الهياكل في السوق. وبعبارة أخرى يقوم الفيسبوك والغوغل وما إلى ذلك من المواقع عبر الفضاء الإلكتروني، بإنشاء وبيع توقعاتها حول كيفية تصرف الناس في منطقة معينة من حياتهم خلال يوم، أو يومين، أو الأشهر الستة المقبلة، أو العام المقبل. وهناك نوع من أسواق العقود الآجلة حيث يكون «السلوك» بمثابة سلعة، والتنبؤات حول كيفية تصرف مجموعات معينة من الأشخاص الذين لديهم خصائص معينة في المستقبل يتمّ تداولها في سوق الأسهم بالأوراق الماليّة، ولا تتنبأ خوارزميات النظام الأساسي الرقمي للفضاء الإلكتروني بسلوك المستخدمين في المستقبل فحسب، بل تعمل أيضًا على تشكيله وتوجيهه لزيادة القيمة التجارية للهياكل التي يمكن التنبؤ بها.[2]

وكذلك تتضمن عملية وآلية تحديد المصالح والسلوكيات والأفكار وتوقعها

1. Yurtsever, Enis Âli, Dijitalleşmenin Karanlık Yüzü, Dijitalleşme, Değerler ve Din Sempozyumu Kitabı, Dicle Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yayınları No: 51, 2021, s. 23-24.

٢. المصدر نفسه، ص ٢٧.

وتوجيهها وعرضها سلعة في الفضاء السيبراني والمجازيّ، قضايا تتعلق بالدين والتديّن، ففي هذا الصدد هناك أمثلة على إنتاج المقدس العلمانيّ والحداثويّ؛ إذ يتمّ إعادة تشكيل الدين والحداثة من خلال تأثيرهما المتبادل في الثقافة الشعبية، وهناك عمليّة إنتاج بحيث يؤثّر كلّ منهما في الآخر تأثيرًا متبادلًا، وإنّ ثقافة الاستهلاك الرأسمالي والميول المعنوية متشابكة ومتكيّفة جدًّا مع وسائل الاتصال والاستهلاك العالمي في العصر الراهن؛ ففي هذا الفضاء، وجنبًا إلى جنب مع الرضا الروحي، هناك منطق جديد للاستهلاك وآلية لترويج المقدس، وهذا نموذج جديد يمكن تفسيره على أنه "تكيّف المقدس مع العمليات العلمانية الحديثة".[1]

وبالإضافة إلى جعل المقدّس كسلعة وتسويق الشؤون الدينية كمنتج تجاري في الفضاء السيبراني والمجازي، عبر وسائل الإعلام الجديدة التي تصبح جميعها منتِجةً للمحتوى، يجب أيضًا أن تكون هناك أماكن في الفضاء السيبراني مهيأة بالفرص التي يوفرها الإنترنت لتتمكن بها من تلقي الإعلانات وكسب المال، فلا يُكتفى - مثلًا - بدور منتجي المحتوى المؤقت والمستشارين والمبرمجين والمقدّمين على العمل كمتخصصين في وسائل الإعلام خلال شهر رمضان في العالم الإسلامي، بل يحضر أيضًا دعاة الدين كضيوف ثابتين في برامج الفضاء الإلكتروني، بجانب أكاديميين خبراء في هذا المجال، فإن إضفاء الطابع الإعلامي على العلماء ودعاة الدين والمعرفة الدينية، ومحاولة إضفاء الطابع الاجتماعي على المعرفة من خلال آليات وسائل الإعلام في الفضاء الإلكتروني، فضلًا عن تسويق المعلومات، هي قضيّة تستحقّ العناية من حيث الأبعاد القانونيّة والأخلاقيّة.[2]

1. Arslan, Mustafa, Medya ve yeni Dinsel Kimlikler, Medya ve Din Tartışmaları Sempozyum Bildirileri, İstanbul Ticaret Üniversitesi, İstanbul, 2016, s. 218.
2. Aydeniz, Hediyetullah, Bir İmkan ve Meydan Okuma Olarak Medya ve İletişim: Türkiye'de Din Hizmetleri ve Dini Bilgi Alanı Özelinde Bir Değerlendirme, Medya ve Din Tartışmaları Sempozyum Bildirileri, İstanbul Ticaret Üniversitesi, İstanbul, 2016, s. 309.

د. الفضاء السيبرانيّ المجازيّ، وتحوّل الهوية الدينيّة

تتشكّل الهوية الدينيّة أوّلًا، من خلال تبنّي معتقدات ومجموعة من القيم وأسلوب حياة معين، وثانيًا من خلال الشعور بالانتماء في مواجهة الآخر، ففي الحياة الواقعيّة يعيش المتدينون في جوٍّ من التضامن الاجتماعي نسبيًّا بما يتناسب مع الاختيارات التي قد اتّخذوها، ويتحدّثون بعضهم مع بعض ضمن حدود معيّنة وضروريّة، لكن هذا الوضع يتبخّر في الفضاء الإلكتروني؛ لأنّ الفضاء الإلكتروني مصمّم وفقًا لقيمه الفريدة، فمهما كانت النيّة خالصة والدافع نقيًّا وساميًا، فإنّ الهويّة الدينيّة التي تظهر في الفضاء الإلكتروني، بقدر ما تأخذ هذا الفضاء على محمل الجد، تضيع في العالم القيمي للفضاء السيبرانيّ، وتحاول الثقافة الإنسانيّة.. الليبراليّة.. الاستهلاكيّة التي تهيمن على الفضاء الإلكتروني، تحت عنوان الحوار، تحويل وتحييد الهوية الدينية وأسلوب الحياة بأحكامها القيمية من خلال خلق جو تعدّدي. وطبعًا الحوار ليس مشكلة في حد ذاته، لكن ما يحوله إلى المشكلة هو أنّ الفضاء السيبراني مساحة غير محايدة.

إنّ المجتمعات الدينيّة تمتلك فعلًا مواقف وهويّات مختلفة نحو العالم الافتراضيّ السيبرانيّ، ممّا يدفعها لبناء أنماط حياة تنسجم مع روح التكنولوجيا الجديدة؛ فإنّ المجتمعات الدينيّة تُعيد بناء نفسها بطرق مختلفة في العالم الرقمي، وقد تغيّرت الهويّة الاجتماعيّة والدينية في ساحة الإنترنت، كما تغيّر شكل الدين والمعنويّة، وإنَّ ترشيد المجتمع أو رقمنته وتحويله إلى ساحة افتراضيّة، قد كشفت عن نمط جديد للحياة، كما تسببت رقمنة فهم القيم، في تغيير محتوى الدين والمتدينين على حدّ سواء، ففي الفضاء الإلكتروني على الرغم من زيادة الدين على مستوى البيانات، إلّا أنّ الأشكال التقليديّة للدين تتغيّر باستمرار، وهذه العمليّة لها تأثيرات مُدمِّرة أكثر من أيّ شيءٍ آخر، لا سيّما في المجتمعات التي تتعامل مع التكنولوجيا على النحو الاستهلاكي، فلا يؤدّي تفاعل الدين والفضاء الإلكتروني إلى تدمير الهويّة الدينيّة فحسب، بل يحمل

أيضًا مخاطر فقدان أصالتها والتحول إلى افتراضية.[١]

إنّ نتيجة افتراضِيَّة الدين في إطار الزمكان هي تحوُّله من الساحة العملية إلى الساحة النظريّة، واختزال الدين إلى مستوى برنامج من بين البرامج الإعلاميّة، وسطحيّة البُعد المقدّس للدين وتفنيد لدعوى وجود الواقع الديني، ولقد ابتعد الدين عن كونه نشاطًا بشريًّا تاريخيًّا عميقًا ومقدّسًا بعدما اختفت كلّ هذه الخصائص، فلم يعد هناك أيّ طقس أو تقليد أو لاهوت أو شعور بالتعالي الروحي، ونظرًا إلى أنّ أحد أهمّ جوانب الدين هو توفير وتعزيز الارتباط بالبُعد المقدّس، فإنّ معدّل نجاح الفضاء الإلكتروني ووسائل الإعلام في هذا الصدد كان منخفضًا للغاية،[٢] ثمّ يُقلِّل الدينُ الرقمي أو الافتراضي الحديث، من تأثير المؤسّسات الدينيّة التقليديّة والشخصيّات الدينيّة، بل يعتمد على الصور والرموز في الفضاء السيبراني، ومع الرقمنة يقلّ تأثيره النفسي والروحي، وبالتالي يحاول المستخدمون إبراز هويّتهم الدينيّة بجانب هويّتهم الرقميّة وحضورهم على وسائل التواصل الاجتماعي باعتباره أحد مجالات الدين الرقمي.[٣]

هـ. الفضاء السيبرانيّ المجازيّ والمرجعيّة الدينيّة

إنَّ التديّن الحقيقيّ هو عمليّة تتكوّن من الأفكار والأحاسيس والسلوكيّات، وهذا يتطلّب الفضول والاهتمام فضلًا عن تحمّل المشاقّ؛ قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾،[٤] وقال أيضًا: ﴿وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾،[٥] وقال

1. Dağ, Ahmet, Dijital ve Transhümanist Dünyada Din ve Dindarın Durumu, Dijitalleşme, Değerler ve Din Sempozyumu Kitabı, Dicle Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yayınları No: 51, 2021, s. 68-69.
2. Ekinci, Fatma, Sanallaş(tırıl)ma Sürecinde Dinî Bilginin Hakikat Problemi, Medya ve Din Tartışmaları Sempozyum Bildirileri, İstanbul Ticaret Üniversitesi, İstanbul, 2016, s. 295.
3. https://www.ittifakgazetesi.com/sanal-dindarlik-tehlikesi-y25332.html

٤. الإسراء: ٣٦.

٥. الأنبياء: ٧.

أيضًا: ﴿وَما كانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾،[١] هذه الآيات تكشف عن الحقيقة نفسها، هذه طريقة عالميّة للحصول على الفكرة الصحيحة التي تبقى صالحة في جميع الأوقات وفي جميع المجالات، وقد تشكّلت هذه السلطة والمرجعيّة في تاريخ الإسلام أوّلًا من قبل "العلوم الإسلامية والعلماء"، ولاحقًا من قبل "الصوفية الأولياء والمرشدين" في نظر الناس، وهذا المسار يختلف تمامًا عن الأديان والديانات البدوية[٢]، التي تقوم على سرعة البديهة، وحسّ القوامة، والتقليد، والخرافات، حيث تمّ تهميش المرجعيّة الدينية (علماء دين، واللاهوتيين...)، ثمّ تغيّرت العلاقات، وحلّ محلّها الفضاء الإلكترونيّ، إذْ في عالم اليوم يشكّل الإنترنت أساس تعايش البيانات والمتدينين.[٣]

وفي هذا الفضاء الجديد، الدين الذي لا يستطيع أن يكون شائعًا ومشهورًا ومعروفًا، يصبح بلا معنى لأولئك الذين يبحثون عن المعنى والمعنويّة الدينيّة في العالم الافتراضي أو الرقمي؛ فتؤدّي الأشكال البراغماتيّة الوظيفيّة والفرديّة للدين إلى رفض الأديان التقليديّة، وكما أنّ الحياة اليوميّة تأخذ شكلًا افتراضيًّا وماديًّا، فكذلك في الفضاء السيبرانيّ يصبح كلّ شيء، بما فيه السلطة والمرجعيّة الدينيّة، أداةً لتلقي الإعجاب (LIKE) والحصول على البيانات، حتّى في الأماكن التي يتعيّن على الناس أن يدركوا فيها عالمهم الداخلي لا يمكنهم أن يختلوا بأنفسهم، فعلى سبيل المثال: ينشر بعض الحجاج صورًا من مكة والمدينة المنورة لتلقي الإعجاب (أثناء مناسك الحج)! ومن أهمّ المفاهيم الخاطئة حول الفضاء الإلكترونيّ هو أنّ المستخدمين يعتقدون أنّه يمكنهم الوصول إلى جواب أي سؤال عبر الإنترنت، حتّى سُنّة الجدل، التي كان لها

١. التوبة: ١٢٢.

2. Güler, İlhami, Sosyal Medyada Din, Medya ve Din Tartışmaları Sempozyum Bildirileri, İstanbul Ticaret Üniversitesi, İstanbul, 2016, s. 230.

3. Dağ, Ahmet, Dijital ve Transhümanist Dünyada Din ve Dindarın Durumu, Dijitalleşme, Değerler ve Din Sempozyumu Kitabı, Dicle Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yayınları No: 51, 2021, s. 54.

طابع جدلي[1] في تاريخ الإسلام، تُستخدم الآن كعامل تصنيف[2] من قبل الجميع، وقد تمّ استبدال الجدل، الذي كان يتضمن اللطف والتفكير والتسامح، بتغييرٍ تصبح فيه لغة الدين عدوانيّة وغير سمحة، وفي هذا التغيير المُفسد لا يهم سوى المنبر الجمهور؛ إذ يقوم رجال الدين وجماهيرهم في العالم الافتراضي أو الشبكة العنكبوتية بإنشاء هياكل جماعيّة بمحتوى ولاءٍ مختلف[3]، فإن للأذواق والاهتمامات في تصنيف الجماهير تأثير كيفي في ماهيّة المعرفة الدينية بحيث تؤدي إلى تغيير في السلطة الدينية؛ وبعبارة أخرى، لقد أدّت التحوّلات في العلوم والتكنولوجيا إلى اختفاء المراجع التقليديّة ومصادر المشروعيّة الاجتماعيّة.[4]

و. الفضاء السيبراني والتباهي وتغيير مفهوم العفّة

لقد أعيدَ إنتاج عبارة ديكارت الشهيرة "أنا أفكّر إذًا أنا موجود" في الفضاء الإلكتروني بشكل: "أنا أحضر، إذا أنا موجود"؛ وبالتالي فإنّ الحضور على الساحة والتباهي للناس يتحوّل إلى رغبةٍ تتطلّب مجهودًا خاصًّا؛ إذ يسعى هؤلاء سعيًا بالغًا في تحقيق هذه الرغبة الأوّليّة، ونتيجة لذلك فإنّ رغبة المرء في المزيد من إظهار النفس، وتعزيز الميل إلى التباهي قد غيّرت عمليًّا مفهوم العفّة لا سيما بين المتدينين، والنقطة التي يتمّ التأكيد عليها من خلال تغيير مفهوم العفّة في الفضاء السيبراني هي أنَّ العفة لا علاقة لها بالتباهي، والعفة في خصوص التباهي، تعني تقييد الحريّة ليس إلّا، ثمّ يلقي الفضاء الإلكتروني على الناس فكرة أنّه من خلال الوعد بالحريّة غير المحدودة يمكن مشاهدة خصوصيّات الغير بكلّ وضوح وشفافيّة.[5]

1. Dialectic.
2. Rating.
3. Dağ, Ahmet, Dijital ve Transhümanist Dünyada Din ve Dindarın Durumu, Dijitalleşme, Değerler ve Din Sempozyumu Kitabı, Dicle Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yayınları No: 51, 2021, s. 69.
4. Ekinci, Fatma, Sanallaş(tırıl)ma Sürecinde Dinî Bilginin Hakikat Problemi, Medya ve Din Tartışmaları Sempozyum Bildirileri, İstanbul Ticaret Üniversitesi, İstanbul, 2016, s. 295.
5. Aycan, Sezen, Dijital Dindarlıkta Mahremiyet: Dindar Muhafazakar Kadınların İnstagram Paylaşımları Örneği, Felsefe ve Din Bilimleri Ana Bilim Dalı Yüksek Lisans Tezi, Akdeniz Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Antalya, 2019, s. 19.

وفي الواقع السؤال الذي يجب طرحه هنا هو: لماذا يتوق الناس إلى التباهي في الفضاء السيبراني؟ وما الضرر الذي يلحقه ذلك بالعفة، خاصّة للمتدينين؟ يبدو أنّ المفهوم الخاطئ القائل بأنّ المكانة الاجتماعيّة المكتسبة من خلال المسؤوليّة والعمل في الحياة الواقعيّة يمكن تحقيقها من خلال الحضور والتباهي في الفضاء السيبرانيّ، واعتماد الفضاء الإلكترونيّ كمساحة عيش رئيسة من قبل الأشخاص المنعزلين عن المجتمع، والقيم الجماليّة للفضاء السيبرانيّ والثقافة الاستهلاكيّة التي تحكم هذا الفضاء، عبارة عن أمورٍ توضّح الإجابة على السؤال المذكور؛ فإنَّ هذه الرؤية والحقائق تزيد من رغبة الناس في المزيد من الحضور والتباهي في الفضاء الإلكتروني وتقودهم إلى تجاهل المعايير الدينيّة والاجتماعيّة حول مظهرهم من أجل إثارة المزيد من اهتمام الآخرين؛ نتيجة لذلك تتغيّر النظرة التقليديّة للعفّة الدينيّة ويتشكّل مفهومٌ جديدٌ للعفّة.

ومن مجالات الفضاء السيبرانيّ حيث تتبخّر العفّة وتفقد معناها فيها بسبب التباهي، هي مواقع الزواج على الإنترنت، فمواقع المواعدة الإسلاميّة تجعل القيم سلعة وتفقد مصداقيّتها وتعمل في علاقة عامل تسويق عميل، بعيدًا عن القيم التي تدّعيها، المواقع التي تقدّم نفسها على أنّها مواقع مواعدة إسلاميّة لا تقدم الإسلام فقط كأداة تسويقيّة، ولكنها أحيانًا ترتكب الاحتيال أيضًا، فإنّها توفر من خلال الصور التي تستخدمها أرضيّةً لتحويل المشاعر إلى عرضٍ تمثيلي، كما تصبح هي مركزًا من مراكز الجذب.[1]

الاستنتاج

إنَّ التكنولوجيا التي تمّ إنتاجها من قبل البشر لتسهيل الحياة منذ البداية، قد وصلت اليوم إلى نقطة تُعيد إنتاجَ البشر لتسهيل الحصول على المعلومات؛ إذ إنّ البشر الآن في طور الحياة الرقمية، وكما يُقال يمكن أن يُنتج هذا الطور في المستقبل القريب

1. Büyükaslan, Ali, Dinselliğin Sanal Dönüşümü: İslamî Evlilik Siteleri, Medya ve Din Tartışmaları Sempozyum Bildirileri, İstanbul Ticaret Üniversitesi, İstanbul, 2016, s. 209.

أو البعيد، أنواعًا تسمى "ما بعد الإنسان"[1] في المرحلة "ما فوق البشريّة"[2]. طبعًا أنَّ التنبؤ بما سيكون عليه "ما بعد الإنسان" في المعتقدات والممارسات والميول الدينيّة، فهي رهن الأبحاث في مجال الدين الافتراضي،[3] وقد ظهرت ظاهرة التديّن التقني من خلال تعامل الدين المتدينين مع الفضاء الإلكتروني؛ حيث يتمّ استبدال المسجد بالشاشة وأيدي المصلين بلوحة المفاتيح، ففي هذه العمليّة يتمّ إنشاء معنويّة الأَلفيّة الثالثة، أي: الدين عبر الإنترنت، من خلال ردود عبر البريد الإلكتروني أو مجموعات الواتساب أو الخطب التي يتمّ الاستماع إليها من خلال اليوتيوب والخطابات والصور الافتراضية، وفي هذا السياق لا يُنظر إلى الفضاء الإلكتروني والإنترنت على أنّهما مجرّد أداة من أدوات التكنولوجيا، ولكن أيضًا كحلقة وصل اجتماعيّة وملتقى يتمّ فيه بناء الثقافة والنقاش حولها.[4]

وبينما يوفّر الفضاء الإلكتروني، من ناحية فرصةً للتعبير عن الأديان والأفكار المختلفة وخلق مساحة تعدّدية، فإنّه من ناحية أخرى يوفّر البنية التحتية لتحوّلها داخل هيمنة ما بعد الحداثة للرأسمالية التقنية. وبعبارة أخرى فإنّ الفضاء الإلكتروني، بينما يشمل الأفكار الدينيّة والعلمانيّة الأكثر تهميشًا على المستوى السطحي، ويظهر ظهورًا تعدّديًّا، بيد أنّه يستهدف تحويل كلّ شيء بشكل أساسيّ وجذريّ وفقًا للأفكار والقيم الرأسمالية التقنية لما بعد الحداثة والعلمانيّة، وعلى ضوء النشاط المتزايد للمتدينين على الإنترنت وتحويل الفضاء الإلكترونيّ إلى الساحة الرئيسة للممارسات الدينية، يمكن تقييم تطور فهم الواقع كأمر مقدّس، واستهلاك التدين، وظهور الديانة البياناتية، وتطوّر السلطة والهوية الدينيّة، وتحوّل مفهوم العفّة.

1. Post-human
2. Trans-humanism
3. Gezginci, Gamze, Işıklı, Şevki, "Dindar Facebook Etkisi: Türk Kullanıcılar Üzerine Bir Analiz". Medya ve Din Araştırmaları Dergisi 1 / 1 (Haziran 2018): 111-133, s. 115.
4. Dağ, Ahmet, Dijital ve Transhümanist Dünyada Din ve Dindarın Durumu, Dijitalleşme, Değerler ve Din Sempozyumu Kitabı, Dicle Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yayınları No: 51, 2021, s. 60.

وأمّا تطور التدين، فهو يرجع إلى الطبيعة العلمانيّة للفضاء السيبراني؛ فإنّ النظر في الكون كمصدر (مادي)، يُساير الأهداف والمصالح الإنسانويّة؛[1] إذ إنَّ الميل إلى جعله ضمن أشكال خاصّة، والنهج الأناني تجاه الطبيعة، هو نمط التفكير الذي قد أوجده التكنولوجيا؛ ولهذا السبب فإنّ الفكرة المستترة في الفضاء السيبرانيّ هي أيضًا مرحلة من مراحل التكنولوجيا الرقميّة في البحث عن السلطة والهيمنة، ممّا يخدم مصالح القوى المنتجة ليس إلّا، وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ سمة التصوير والمحاكاة للفضاء السيبراني زادت الطين بلة؛ إذ قلّلت الواقع والمقدّس في أفضل صورة إلى حدّ الكمية والظاهر؛ وبالتالي فإنّ الفضاء السيبراني، العلماني الدنيوي بطبيعته، عاجز عن تحمل عبء الواقع والمقدس اللذين يتطلبان أدواتهما وعملياتهما الخاصّة من المعرفة والأنطولوجيا، والنقطة التي لا يمكن تجاهلها هنا هي أنّ هذا العجز ليس نقطة ضعف محايدة، ويحاول الفضاء السيبراني التعبير عن الواقع أو المقدّس على مستواه الخاصّ ممّا يجعله سطحيًّا ومنحطًّا، بل بالأحرى هو يُبعد الإنسان عن الواقع أو المقدس الذي يتمتّع باستمراريّة وعمق، مستغلًّا ميلَ الإنسان للبحث عن التنوع، ذلك من خلال تقديم أشياء جديدة وعابرة باستمرار وكذلك إشغال الناس بالسطحية المكنونة فيه.

فبالنظر إلى هذا البعد المتعدد الأوجه والمعقّد للفضاء السيبراني في مواجهة سطحيّة المقدّس ومدّعيات الحقيقة الدينيّة ونظريّة المعرفة الجديدة الناشئة من تقنيات المعلومات الجديدة، فإنّ المسلمين الذين لا يستطيعون اكتساب المعرفة في مستوى مختلف عن الإيمان والأخلاق، يجب أن يكونوا على وعي أوّلًا من هذه الهيمنة المعرفيّة الجديدة التي تربط المعرفة والقيمة بتأكيد الجماهير، ومن ثمّ أن يكونوا على دراية بوسائل الإعلام.[2] طبعًا تلعب العوامل والمتغيّرات دورًا رئيسًا في

1. Humanistic
2. Ekinci, Fatma, Sanallaş(tırıl)ma Sürecinde Dinî Bilginin Hakikat Problemi, Medya ve Din Tartışmaları Sempozyum Bildirileri, İstanbul Ticaret Üniversitesi, İstanbul, 2016, s. 298.

مدى التأثريّة، مثل مدّة ونوع استخدام الإنترنت والفضاء السيبراني، ودوافع المستخدمين وغرضهم من استخدام الإنترنت، والنظر إلى الفضاء السيبراني بواقعيّة، ومقدار التفاعل والمشاركة في هذا الفضاء.[١]

وفي هذا السياق ما يجب أن نوليه اهتمامًا خاصًا هو أنّ الأنشطة الدينيّة في البيئة الافتراضيّة يمكن أن تسبب رضا زائفًا وتمنع المتدينين من القيام بالأنشطة التي ينبغي عليهم القيام بها في العالم الحقيقي؛ لهذا السبب، إذا كانت الأنشطة التي يتمّ إجراؤها في الفضاء الإلكتروني ومحيط الإنترنت، مدعومة بجهود وأنشطة في بيئات حقيقية، يمكن إنشاء اتصال جادّ مع المتابعين ويمكن في النهاية تحقيق نتائج أكثر فعّاليّة. ولتوضيح الأمر بشكل أكثر وضوحًا، يجب أن يكون المجال الرئيس الذي يجب على المتدينين العناية به أثناء أنشطتهم هو المجال الحقيقيّ والاجتماعيّ، وليس الفضاء الإلكترونيّ، وفي هذا الصدد يجب أن يؤخذ مفهوم اللاهوت الاجتماعيّ على محمل الجدّ؛ فلا يتسنى للمتدينين فهمٌ سليمٌ للدين، وتطبيق تعاليمه المقدسة، والبقاء في مأمن من التأثير التحويلي للحضارة الرأسمالية التقنية، إلّا من خلال العمل في المجال الاجتماعي الملموس؛ حيث يلعب الفضاء السيبراني _ عندئذٍ _ دورًا مكمّلًا بجنب التديّن والنشاط الديني في المجال الاجتماعي.

١. قادي، مجتبى. هويت دينى در تعامل با فضاى مجازى اينترنت. مجلة «رهيافت پيشگيرى از جرم» الفصلية العلمية، ١٣٩٦؛ ٢٠(٢): ٤٩–٧٦. ص. ٧٠–٧١.

المصادر

أ) المصادر الفارسية

١. بروجردي علوي مهدخت، صديق يزدجي أميرسعيد. تاثير فضای مجازی بر هويت ملی و قومی در ايران. دراسات وسائل الإعلام الجديدة. ٣ (١٢)، ٨٧-١١٠، ١٣٩٦.

٢. قادي، مجتبی. هويت دينی در تعامل با فضای مجازی اينترنت. مجلة «رهيافت پيشگيری از جرم» الفصلية العلمية، ١٣٩٦، (٢): ٤٩-٧٦.

ب) المصادر الإنجليزية

1. David Ashley, History without a Subject ‘The Postmodern Condition’, (United States of America, Colorado: Westview Press, 1997).
2. Geraci, R. (2010). Apocalyptic AI, visions of heaven in robotics, artificial intelligence, and virtual reality. U.S.A: Oxford University Press.
3. Heidegger, Martin, “The Question Concerning Technology”. The Question Concerning Technology and Other Essays. Translator. William Lovitt. New York: Harper & Row Publishers, 1977.
4. Heidegger, Martin, Discourse on Thinking, çev. J. M. Anderson, Harper Row Publishing, New York.
5. Mbanaso, Uche M., and Eman S. Dandaura. 2015. “The Cyberspace: Redefining a New World.” IOSR Journal of Computer Engineering 17 (3): 17– 24.
6. Morahan-Martin, J. and Schumacher, P. (2003). Loneliness and Social Uses of the Internet. Computers in Human Behavior, 19(6): 659-671.

ج) المصادر التركية

1. Arslan, Mustafa, Medya ve yeni Dinsel Kimlikler, Medya ve Din Tartışmaları Sempozyum Bildirileri, İstanbul Ticaret Üniversitesi, İstanbul, 2016.
2. Aycan, Sezen, Dijital Dindarlıkta Mahremiyet: Dindar Muhafazakar Kadınların İnstagram Paylaşımları Örneği, Felsefe ve Din Bilimleri Ana Bilim Dalı Yüksek Lisans Tezi, Akdeniz Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü, Antalya, 2019.
3. Aydeniz, Hediyetullah, Bir İmkan ve Meydan Okuma Olarak Medya ve İletişim: Türkiye’de Din Hizmetleri ve Dini Bilgi Alanı Özelinde Bir Değerlendirme, Medya ve Din Tartışmaları Sempozyum Bildirileri, İstanbul Ticaret Üniversitesi, İstanbul, 2016.

4. Baudrillard, Jean, Kötülüğün Şeffaflığı, çev. Işık Ergüden. Ayrıntı Yayınları, İstanbul, 1998.
5. Baudrillard, Jean, Neden Her Şey Hala Yok Olup Gitmedi?, Boğaziçi Üniversitesi Yayınevi, İstanbul, 2012.
6. Baudrillard, Jean, Sessiz Yığınların Gölgesinde, Doğu Batı Yayınları, Ankara, 2015.
7. Baudrillard, Jean, Simülakrlar ve Simülasyon, Doğu Batı Yayınları, Ankara, 2014.
8. Baudrillard, Jean, Tam Ekran. çev. Bahadır Gülmez, Yapı Kredi Yayınları, İstanbul, 2001.
9. Baudrillard, Jean, Tüketim Toplumu, Ayrıntı Yayınları, İstanbul, 2016.
10. Baudrillard, Jean: Şeytana Satılan Ruh, Çev. Oğuz Adanır, Doğubatı Yayınları, Ankara, 2005.
11. Büyükaslan, Ali, Dinselliğin Sanal Dönüşümü: İslamî Evlilik Siteleri, Medya ve Din Tartışmaları Sempozyum Bildirileri, İstanbul Ticaret Üniversitesi, İstanbul, 2016.
12. Candemir, Hasan Hüseyin, "Sanal Din". Medya ve Din Araştırmaları Dergisi 2 / 1 (Haziran 2019): 159-161.
13. Dağ, Ahmet, Dijital ve Transhümanist Dünyada Din ve Dindarın Durumu, Dijitalleşme, Değerler ve Din Sempozyumu Kitabı, Dicle Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yayınları No: 51, 2021.
14. Değerlendirmek, 2018, s. 75, https://www.researchgate.net/publication /326926779_Sosyal_Medyanin_Gercekligi_Baudrillard_Perspektifinden_Sosyal_Medyayi_Degerlendirmek
15. Ekinci, Fatma, Sanallaş(tırıl)ma Sürecinde Dinî Bilginin Hakikat Problemi, Medya ve Din Tartışmaları Sempozyum Bildirileri, İstanbul Ticaret Üniversitesi, İstanbul, 2016.
16. Gezginci, Gamze, Işıklı, Şevki, "Dindar Facebook Etkisi: Türk Kullanıcılar Üzerine Bir Analiz". Medya ve Din Araştırmaları Dergisi 1 / 1 (Haziran 2018): 111-133.
17. Güler, İlhami, Sosyal Medyada Din, Medya ve Din Tartışmaları Sempozyum Bildirileri, İstanbul Ticaret Üniversitesi, İstanbul, 2016.
18. Güzel, M. 2015. Gerçeklik İlkesinin Yitimi: Baudrillard'ın Simülasyon Teorisinin Temel Kavramları. Felsefe ve Sosyal Bilimler Dergisi, 19, 65-84.
19. Haberli, Mehmet, "Dijital Çağda Din ve Dindarlığın Dönüşümü". Medya ve Din Araştırmaları Dergisi 2 / 2 (Aralık 2019): 307-315.
20. Haberli, Mehmet, Sanal Din Tarihsel, Kuramsal ve Pratik Boyutlarıyla İnternet ve Din, Açılım Kitap, İstanbul, 2014.
21. Harari, Y. N. Homo Deus: Yarının Kısa Bir Tarihi, Kolektif Kitap, İstanbul, 2017.
22. Harvey, David: Postmodernliğin Durumu, Çev. Sungur Savran, İstanbul, Metis Yayınları, 1. Basım: 1997.
23. https://www.ittifakgazetesi.com/sanal-dindarlik-tehlikesi-y25332.html

24. Küçükalp, Kasım, “Enformasyon Kültürü ve Simülasyon Dünyası İçerisinde Hakikat ve İnsan İlişkisi”, Dijitalleşme, Değerler ve Din Sempozyumu Kitabı, Dicle Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yayınları No: 51, 2021.
25. Merter, Mustafa, Nefs Psikolojisi, Kaknüs Yayınları, İstanbul, 2013.
26. Metin, O. & Karakaya, Ş. (2017). Jean Baudrillard Perspektifinden Sosyal Medya Analizi Denemesi. Afyon Kocatepe Üniversitesi Sosyal Bilimler Dergisi, 19 (2), 109-121. Retrieved from https://dergipark.org.tr/tr/pub/ akusosbil/ issue/34128/377515.
27. Timur, Hayriye, Sosyal Medyanın Gerçekliği: Baudrillard Perspektifinden Sosyal Medyayı
28. Yumrukuz, Ö, 2016. Jean Baudrillard'ın Simülasyon Kuramı Çerçevesinde Survivor Programı. TRT Akademi Dergisi, 1(1), 86-111.
29. Yurtsever, Enis Âli, Dijitalleşmenin Karanlık Yüzü, Dijitalleşme, Değerler ve Din Sempozyumu Kitabı, Dicle Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Yayınları No: 51, 2021.